



كلمة العدد

ان هذا العصر الذى نعيش فيه هو عصر الطواغيت ، فانه عصر كثرت فيه الطواغيت ، وكثرت فيه أنواع الكفر والطغيان ، وتنوعت فيه أقسام الشرك والعدوان . وزادت خطورة هذه الاقسام ومفاسد تلك الأنواع عن خطورة أخواتها التى تواجدت فيما مضى ، وتضاعفت مفاسدها عن مفاسد أمثالها ونظائرها فى فائت الزمان وغابره .

كانت طواغيت العصور الفائتة قزما بالنسبة لطواغيت العصر الحاضر . فكانت تجول وتصول فى نطاق واحد أو نطاقين اثنين ، وكانت سيئاتها منحصرة فى دائرة نشاطاتها المحدودة . فكان طغيان الفراعنة فى ادعائهم بالالوهية ، وكان طغيان قوم سيدنا لوط - عليه السلام - فى ارتكابهم ذلك المنكر الفاحش الشنيع ، وكان طغيان أصحاب الأيكة فى التطفيف وبخس الناس اشياءهم ، فكانوا اذا اکتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، وقس على هذا طغيان الامم الاخرى وعدوان الشعوب البائدة .

وأما طواغيت هذا العصر فليست جولاتها وصولاتها منحصرة فى دوائر محدودة أو معلومة ، بل انتشر فسادها فى الآفاق كلها ،

واكتسحت العالم كله بمفاسدها وسيئاتها ، وفاقت أسلافها بسعة طغيانها ، وشدة كفرها ، وشناعة عدوانها ، وكثرة تعدادها وأنواعها . ولعل عدد الطواغيت فى عصرنا هذا وعدد أنواعها بلغ مبلغا لم يكن يتصوره أبناء العصور القديمة ، وجادت قريحة عصر العلم والحضارة والتكنولوجيا فى ابتكار انواع الشرك والطغيان واختراع اقسام الكفر والعدوان بما لم تخطر ببال أحد فى عصور الجهل والبداءة .

ففى طواغيت يطغون على الوحي والديانات ، وطواغيت يطغون على ثروات الناس وأموالهم ، التى اكتسبوها بأيديهم وأنفسهم ، وطواغيت يطغون على حريات الشعوب والدول ، وعلى استقلال البلاد والأمم ، وطواغيت يطغون على الآداب وفضائل الاخلاق ، وطواغيت يطغون على أعراض الناس ودمائهم - - - - ،

ولعل أكبر الطواغيت وأخطرها فى عصرنا الحاضر هو الذى طغى على الانسان وانسانيته ، وأنكر كرامة الانسان ، ونادى اتباعه بحيوانية الانسان ، وسعوا فى الأرض فسادا بنظرياتهم الباطلة وأفكارهم المنحرفة ، فجاسوا خلال الديار . ففى هذا النوع من الطواغيت يحتقرون بأصل الانسان ، ويستصغرون مكانته ، و يتهاونون بكرامته ، ولا يبالون باحترامه .

★ ★ ★ ★ ★

يعتبر الاسلام الحياة الانسانية منحة وموهبة من الله عزوجل منحها للانسان وشرفه بها . وهذه الحياة ليست عبثا كما يقول بعض الفلاسفة ومن تبعهم من أهل الغرب والشرق . فان الله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوهم أيهم أحسن عملا . وليست الحياة تطورا طبيعيا بحتا أو ظهورا تلقائيا كما يزعم داروين ومن تلاطوه ، ولا هى

لعبة من لعب الخالق الاكبر الذى خلقها لهوا ولعبا وتسلية لنفسه كما يعتقد الهندوس .

الحقيقة هى على العكس من ذلك كله تماما ، فاعلن القرآن بصراحة : وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ، ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون .

فيما أن الحياة فى هذه الدنيا ليست عبثا وللهوا ولالعبا ، وانما هى امتحان وبلاء ، فمن واجب الانسان أن يحفظ حياة اخوانه ويحميها . ومن حقه بل واجبه أن يحتفظ بحياته . وبما أن الناس كلهم سواسية فى هذا الامتحان والبلاء فلم يكن لأحد مهما كانت مكانته عالية وسلطته قوية أن يغصب هذا الحق الطبيعى من اخيه الانسان . ولذلك اعتبر الاسلام الاعتداء على نفس واحدة اعتداءً على الانسانية جمعاء . فمن قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحيها فكأنما أحيأ الناس جميعا . وذلك لان الجناية على نفس واحدة هى فى الحقيقة جناية على حق الحياة الذى يصون للناس حق حياتهم جميعا . فالاستهتار بهذا الحق استهتار بالحياة الانسانية بأجمعها واستهتار بالكيان البشرى فى العالم كله . وأما المحافظة على هذا الحق فهى محافظة دماء الناس ومحافظة البشرية كلها .



ويتصل بمبدأ حرمة الحياة الانسانية مبدا كرامة الانسان بل يسبقه . وكل واحد منهما متلازمان ومتوقفان على الآخر . فلا حرمة للحياة الانسانية بدون كرامة الانسان . ولا معنى لكرامة الانسان اذا لم تكن لحياته حرمة .

ويتجلى مبدأ كرامة الانسان فى الاعلان القرآنى : لا اكراه فى الدين قديبين الرشد من الغى . فى هذا الاعلان احترام ارادته وفكره ومشاعره واحساساته وانطباعاته . يترك الاسلام امره لنفسه يختار له مايشاء من هدى وضلال . فانه تعالى خلق النفس الانسانية ، وهو الذى ألهمها فجورها وتقواها .

وليس هناك دين من الاديان أو فلسفة من الفلسفات سبقت الاسلام الى هذه الاعلانات الانسانية العالمية لكرامة البشر وحرمته وعظمته . وهذه الاعلانات وجهت الى البشرية جمعاء لا الى امة من الامم أو طائفة من الطوائف .

وليست المساواة التامة بين أفراد البشر على أساس الشريعة الاسلامية وفى اطار النظام الاسلامى إلاضمان كامل لكرامة الانسان . ومن حق كل انسان بل من واجبه أن ينال الكرامة اللازمة من المجتمع وان يعامل معه بما هو مقتضى كونه انسانا . فان الكرامة مضمونة لجميع بنى آدم . ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا . .



وهناك ناحية أخرى لكرامة الانسان . ان الله تعالى حمل خلافته فى كونه على كل انسان من حيث كونه انسانا . فكل انسان ظهر على وجه الأرض خليفة الله فى ارضه بالقوة لو لم يكن خليفته بالفعل . ولعله هو السر فى أن القرآن الكريم لم يستعمل الخليفة بصيغة المفرد الا للانبياء ، وأما لمن عدا الانبياء من المؤمنين الصالحين والمسلمين فيطلق عليهم كلمة الخلفاء بصيغة الجمع .

وسر هذه الخلافة الالهية للانسان هو العلم الذى شرفه به خالقه

يوم أن خلق أبا البشر، والحكمة التي عبرها بالخير الكثير . فالعلم والحكمة هما المؤهلان اللذان يؤهلان الانسان للخلافة الالهية والامانة الكبرى التي عرضها الله سبحانه وتعالى على السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان .

ويعتبر الاسلام النيل من كرامة الانسان جاهلية . فروى الأمام البخارى أن أبا ذر تغاضب مع بلال الحبشى (رضى الله عنه) مولى أبى بكر رضى الله عنه وتسابا . فقال له أبوذر يا ابن السوداء ، فشكاه بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم لأبى ذر : «أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية . فمن كرامة الانسان أن لا يعير بلونه أو نسبه . فان الناس فى نظر الاسلام سواسية كأسنان المشط ، ولكل فرد من افراد الانسانية حق الكرامة الانسانية . وهم سواء فى ذلك . فقال عليه السلام : كلكم لآدم وآدم من تراب ، لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى .

والمساواة من اهم النتائج المنطقية لمبدأ كرامة الانسان . وشهد التاريخ الانسانى مشاهد ومواقف عظيمة للمساواة الانسانية التى نادى بها الاسلام وعملت بها وطبقتها الامة الاسلامية .

ان المجتمع الانسانى الامثل الذى يقيمه الاسلام بهدى القرآن وفى ضوء سنة نبى الاسلام عليه أفضل صلاة وتحية مجتمع على أعلى مراتب الاخلاق والآداب - له اخلاقه السامية وأدبه الرفيع . يتمتع كل فرد فيه بالكرامة الانسانية . ويتمتع كل واحد فيه بأخلاقه السامية وأدبه الرفيع . ولذلك اعتبر الاسلام انتهاك كرامة واحد منهم انتهاكا لكرامة الجميع ، وانتهاك حرمة الواحد انتهاكا لحرمة الجميع ، كما أن قتل نفس بغير نفس أو فساد فى الأرض كقتل الناس جميعا .

وللحفاظ على هذه الكرامة الانسانية والحرمة الطبيعية للانسان وللحمتع الانسانى يستجيش الاسلام عواطف الاخوة الايمانية والصداقة الاسلامية الوثيقة ، فيحصل على الكثير والكثير فى هذا الاتجاه مالا يمكن الحصول عليها .

وأعلن القرآن الكريم أن من انتهك حرمة أخيه وكرامته فكأنما انتهك حرمة نفسه وكرامة نفسه . فنهانا الكتاب الحكيم ان لانلمز انفسنا (ولا تلمزوا أنفسكم) فالمراد منه لاتلمزوا اخوانكم ، فان أحدا لا يلمز نفسه ، ولكنه اذا لمزأخاه فكانما لمز نفسه . ويوجب الاسلام أن يكون كل انسان حرا من أن يكون عرضة لظنون الناس السيئة . فان الظن لا يغنى من الحق شيئا ، بل يؤدى الانسان الى احتقار أخيه .

ومن كرامة الانسان أن يحتفظ بأسراره ويحافظ على عوراته ، وأن لا يكون عرضة للتجسس والتتبع بدون أى سبب شرعى . فان كتاب الله الحكيم نهانا عن التجسس . لأن التجسس فى أسرار الناس وتتبع عوراتهم وكشف سوءاتهم اتجاهاً لئيم ، وعمل دنى يندس المجتمع وينجسه . وكل انسان له حرية وكرامته له عورات من جسده ، وعورات من عاداته ، وعورات من ادوات منزله ، وله الحرية والحق فى أن يبعدها عن أعين الناس . فلا بد من ان تكون هذه الحرية مأمونة من الانتهاك فى أى شكل أو صورة ، ليبقى كل واحد آمنا على نفسه ، آمنا على بيته ، آمنا على عوراته ، آمنا على أسراره . والى هذا المعنى أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : انك ان اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت ان تفسدهم . (رواه ابو داؤد)

محمود أحمد غازى

